الجزيرة ٨

احتفاء بالتاريخ واهتمام بالفكر

بقدر ما أن «الجنادرية» استكشاف للماضي عند الشباب، فإنها للكبار استرجاع لذكريات جميلة لاتزال لها في قلوبهم ــ رغم تطور الحياة ــ مكانة ومنزلة ، ومن ثم فإن المهرجان الوطني للتراث والثقافة يشكل في مجمله جواً مشحوناً بعناصر الترغيب وإثارة الخواطر معاً .

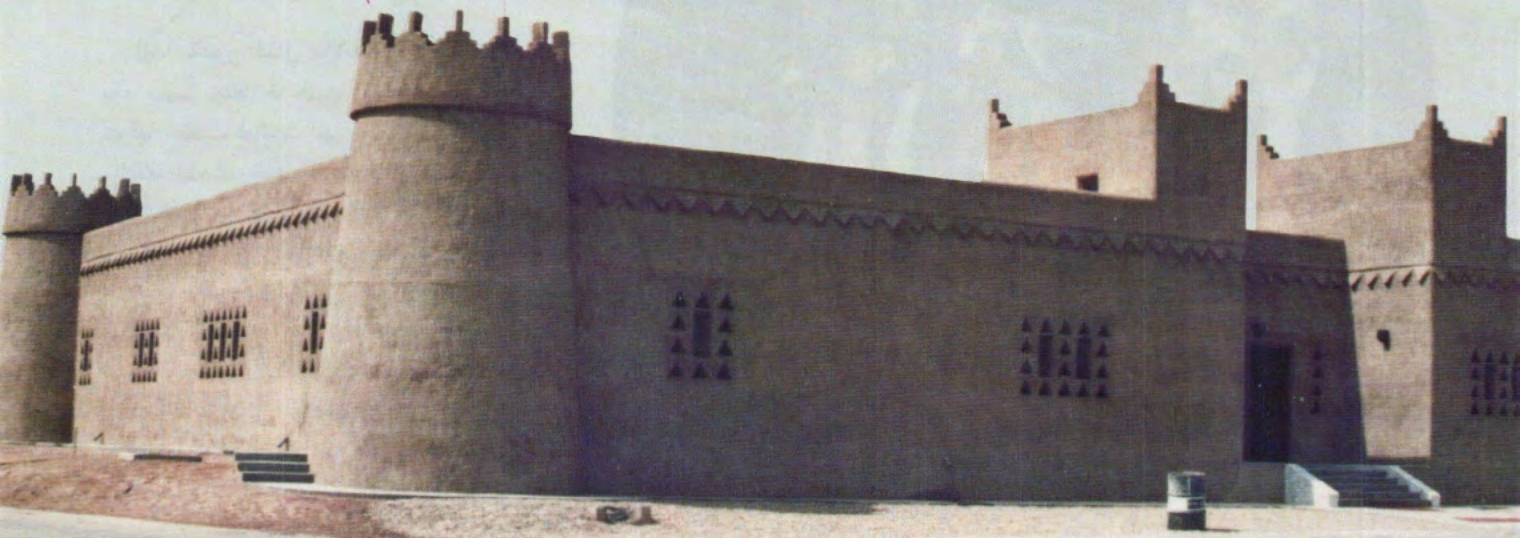

والمهرجان الوطني الثامن للتراث والثقافة الذي رعى حفل افتتاحه خادم الحرمين الشريفين قبل ظهر يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال الماضي جمع بين الأصالة المتمثلة في تاريخ المملكة العربية السعودية وإبراز عادات أهله وتقاليدهم وحرفهم ، وبين مظاهر النهضة السعودية التي أصبحت على درجة من الوضوح لا تخطؤها العين .

فيما عدا عام الغزو العراقي لدولة الكويت لم ينقطع المهرجان عن عشاق التراث ومحبي الثقافة فمنذ سبعة أعوام قامت فكرة المهرجان الذي تحرص الدولة على إقامته سنوياً وكما قال معالي النائب المساعد لرئيس الحرس الوطني الأستاذ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري في الحفل الخطابي : «ليكون وعاءً حافظاً لتراث المملكة ومنبراً ثقافياً وأدبياً يعبر بصدق عن فكر وحضارة الإنسان السعودي» فالمهرجان يحاول «أن يجمع في خيمته من بطون الأودية والأحداث والتاريخ في شبه الجزيرة العربية ماكان للشعب السعودي من تراث صعوداً وراء التراث العربي والإسلامي بتراث واحد يعتز به كل عربي ومسلم ، وينفي عنه الدخيل والخبيث . فكل من ليس له ماضي من القيم والمثل العليا عليه علامة استفهام في عالمنا العربي والإسلامي ، بعيدة وقريبة الظنون من حوله تُسائل الماضي عنه هل تعرفه ؟ هل لك معه نسب ؟ هل له نصيب من مكارم الأخلاق والسلوك الأمثل ؟» .

فعاليات المهرجان

إيماناً بالدور الثقافي والإبداعي في بناء الأمم بناءً سليماً يحفظ لها قيمتها وأساسها وعوامل تفوقها انطلقت فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ليتجسد الوفاء للأسلاف وتتجدد قدرة البلاد على التطور في الوقت الذي تحافظ فيه على قيمها الإسلامية الخالدة وتقاليدها العربية الأصيلة، وتمتزج في تجانس رائع أصالة الماضي وتطلعات الحاضر وآمال المستقبل ، ففي المهرجان تعانقت الثقافة والأدب والفكر وتراث الأجداد ، مما أعطى المهرجان طابعاً مميزاً ومنفرداً بين المهرجانات العربية التي تُعنى بالحفاظ على المكتسبات الثقافية والتراثية العربية والإسلامية

من الضياع أو التشويه وسط خضم الحياة المعاصرة .

في صباح اليوم الأول من أيام المهرجان رعى خادم الحرمين الشريفين الشوط الأول لسباق الهجن التاسع عشر والذي شاركت فيه دول الخليج بفعالية ، وسلم حفظه الله الجوائز للفائزين الخمسة الأول في السباق، وبعد عصر اليوم نفسه رعى سمو ولي العهد الشوط الثاني وتفضل حفظه الله بتسليم الجوائز للفائزين الخمسة الأول .

ومن المعروف أن سباق الهجن أحد النشاطات الهامة والمحببة التي أولاها المهرجان اهتمامه ورعايته ، فقد جاء المهرجان كتطوير تدريجي لهذا السباق الذي بدأ على أرض الجنادرية أول مرة عام ١٣٩٥هـ ، وهذا العام تكون السباق من ستة أشواط ، وكان لدعم المؤسسات الوطنية له أثره الواضح في نجاحه بما ظهر فيه من منافسة شديدة .

فتح المهرجان أبوابه لاستقبال المواطنين والمقيمين منذ صبيحة يوم الخميس (السادس عشر من شوال) وإن تأجل الحفل الخطابي لمساء يوم الجمعة لسوء الأحوال الجوية . وعلى مدى أسبوعين (اختصت النساء منها بيومين) امتدت الفعاليات لتشمل النشاط التراثي والنشاط الثقافي .

النشـــاط الثقـــافي

وبحضور عدد كبير من المفكرين والأدباء رعى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان حفل افتتاح النشاط الثقافي في مساء يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال ، وتنوعت الفعاليات الثقافية في مهرجان هذا العام لتضم الندوات الفكرية والندوات المتخصصة والمحاضرات ومسابقة في حفظ القرآن الكريم والأمسيات الشعرية .

ومن منطلق التأكيد على القيم الدينية والاجتماعية التي تمتد جذورها في أعماق التاريخ يهتم المهرجان بالتأكيد على قيمة الموروث الشعبي ودوره في التواصل الإنساني والحضاري . وحتى تتم بلورة هذا الهدف الثمين إلى أسلوب عمل يسهم بفاعلية وموضوعية وصدق في إثراء الثقافة بشكل عام انتهج المهرجان منهجاً متميزاً فجعل الموروث الشعبي وعلاقته بالإبداع الفني والفكري في العالم العربي محوراً رئيسياً لندوته الثقافية المتخصصة يتحاور حول جانب من جوانبه ذوُو الاهتمام من المفكرين والعلماء والأدباء . وبناءً على ذلك نوقشت خمسة موضوعات ذات صلة وثيقة بتنشئة الطفل اجتماعياً وثقافياً حيث إن الاهتمام به ضرورة تحتمها النظرة الواعية الأمينة على مستقبل الأمة فالطفل هو المستقبل وهو صانع الغد وهو المكمل لإنجاز اليوم أو المحبط به إلى الحضيض .

وبمثل ما اهتمت الندوات الفكرية بالعقل والفكر والفن أولت عنايتها بمقومات الحياة فشمل برنامج ندوات هذا العام مناقشة أزمة المياه في العالم العربي إلى جانب الهوية الثقافية للأمة العربية ، والإسلام في الإعلام الغربي ، والنفط ،

والفكر في منطقة الخليج العربي ، والتطورات التاريخية والفنية للفن العربي الحديث ، والحركة الإصلاحية في الجزيرة العربية ، والإسلام في شرق أوروبا ، وكتابة التاريخ الإسلامي .

وحسناً فعل المهرجان بتوجيه العناية لتاريخنا الإسلامي، فهو تاريخ دعوة عالمية ، وسجل لرجال عظام صنعوا الحضارة والمجد، ومن ثم فإن من أوجب الواجبات تجاه هذه الدعوة على أبنائها أن يوضحوا للدنيا كيف انتشرت ، وعليهم تجاه رجالها العظام واجب إبراز النقاط المشرفة في الجانب السياسي من تاريخهم ، وحسناً أن جعل المهرجان إحدى ندواته موضوع إعادة كتابة التاريخ الإسلامي .

وفي إطار اهتمامات المهرجان بتشجيع البحوث والدراسات التي تسهم في إيضاح وسائل الاستغلال الأمثل لمصادر البيئة المختلفة خص أزمة المياه في الوطن العربي بإحدى ندواته الفكرية باعتبارها إحدى الأزمات الملحة من عدة وجوه ، من بينها ما يراه المراقبون بأن المنطقة أصبحت مهددة بنوع جديد من أنواع الصراع من أجل بسط النفوذ والسيطرة على موارد المياه فيتوقعون بعداً جديداً للصراع العربي الصهيوني يضاف إلى أبعاده التقليدية .

وكان لتنوع المحاضرات في المضمون والأهداف وجودٌ بارزٌ على النشاط الثقافي فألقيت محاضرات عن بداية وتطور الإسلام وعن النقوش في المملكة ، وسلطت الأضواء على الفنون الإسلامية بمكة المكرمة في العصر الإسلامي ، واتجاهات التجديد في الفن العربي المعاصر . وكانت الأحداث التي يتعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك في بؤرة اهتمام المهرجان فأفرد من بين محاضراته واحدة للأستاذ صالح جولاكوفيتش رئيس المشيخة الإسلامية في جمهورية البوسنة والهرسك للحديث عن مستقبل الاسلام في منطقة البلقان فخلص من محاضرته بأن للإسلام في تلك المنطقة مستقبلاً بضمانات قدرة الله تعالى ، وعالمية الدين الاسلامي ، وتنظيم المسلمين في المنطقة وبخاصة في البوسنة والهرسك ، وبإصرار المسلمين على التمسك بالإسلام خاصة بعد الهجمة الدموية الصربية عليهم .

وتشجيعاً على نشر كتاب الله العزيز وتلاوته وحفظه وتجويده نظم المهرجان مسابقة بين ناشئة مدارس تحفيظ القرآن الكريم بالرياض راصداً لها جوائز قيّمة للفائزين .

وحتى يكتمل عقد النشاط الثقافي لابد أن تتوسطه تلك المساحة من العطاء الوجداني المتمثل في النظم الشعري قديمه وحديثه . فيتيح لعاشقيه ومحبيه أمسية شعرية فاتنة الحسن رائعة البهاء .

النشـاط التراثـي

وفي إطار النشاط التراثي الذي شاركت فيه كل من قطر والبحرين بجناحين خاصين بهما إضافة إلى مشاركتهما ببعض المهن الحرفية ؛ يتم في إطار هذا النشاط عرض السبل والوسائل والمعدات التراثية القديمة التي كان يستعملها الآباء والأجداد ، فجذب الزوار هذا اللون من النشاط ، فالمكان يعبق بالتاريخ الذي صنع الآباء والأجداد مفرداته بالعزيمة الصادقة والتفاعل المثمر مع بيئتهم وظروفها البالغة الصعوبة .

فالمزرعة تستحوذ على اهتمام الكبار بحرفها التقليدية من حصاد ودياسة وري ، فصوت «محال» السواني سيمفونية عذبة تطربهم وأهازيج المزارعين تشجيهم .

ويظل السوق الشعبي محور النشاط التراثي بدكاكينه ومعارضه التي تبرز معظم الإنتاج التراثي المادي الذي كان سائداً في المملكة خاصة

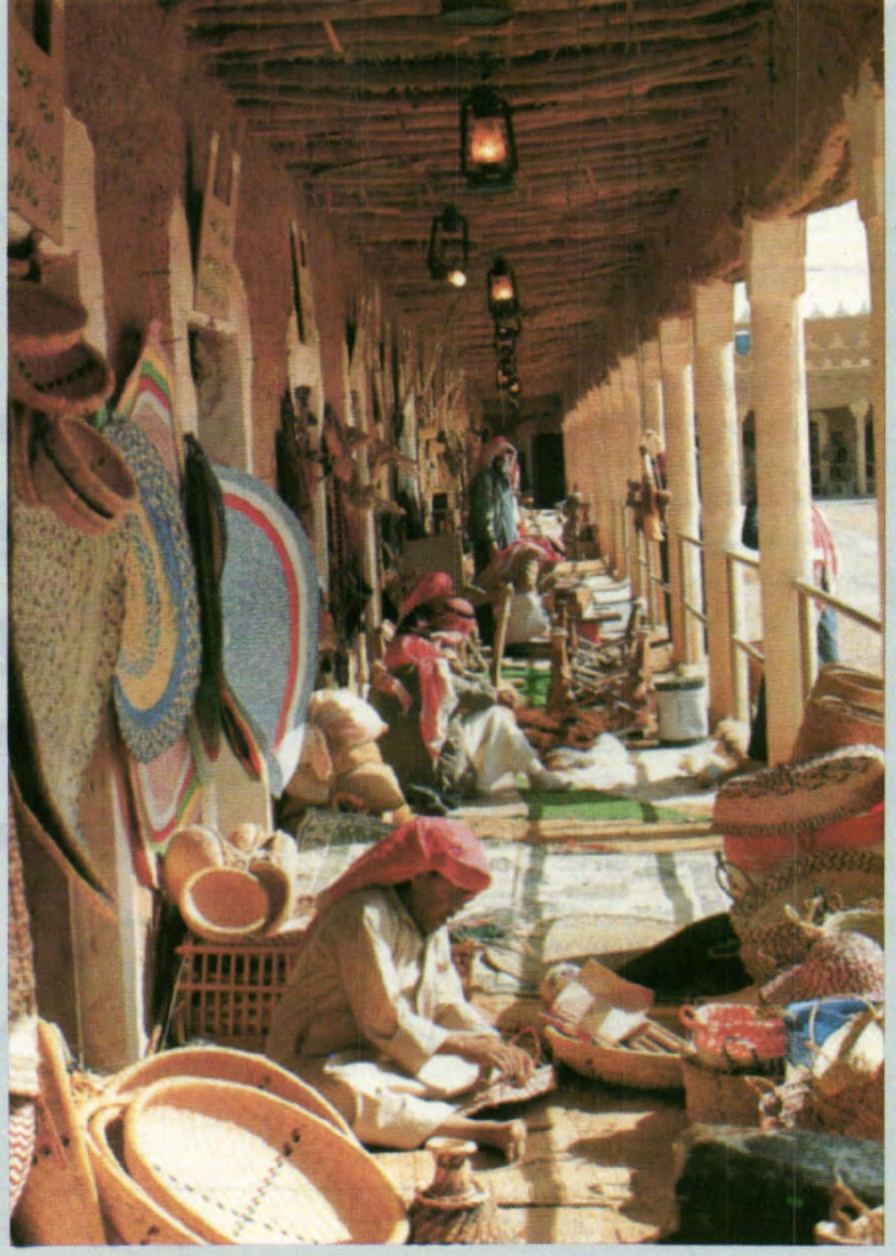

وشبه الجزيرة العربية بشكل عام منذ الزمن الماضي ، فمن الإحساء تعرض المصنوعات الجميلة من الحلي والفضة التي كانت أساس الزينة عند البدو ، ويتم عرض العديد من صناعات النسيج المطرزة ببعض الرسومات بالطريقة التي اشتهرت بها المنطقة الوسطى ، كذلك يضم العديد من مصنوعات الشَّعر والسجاد والصوف وبعض مستلزمات البدوي خلال فترة الشتاء من ملابس مثل العباءة والبشت والكوفية .

ويجذب الفن المعماري التقليدي للمملكة جموع الزوار بصورة ملموسة وملفتة للنظر ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بطريقة بناء المساكن من الطين وجريد النخل ، ومن بين ما يتم عرضه يقدم المهرجان نموذجاً لأنواع المعمار التي كانت سائدة في منطقة جيزان ، ومنطقة عسير ، والباحة والمدينة وغيرها ، كذلك يقدم نماذج لأنواع الديكور التي كانت تحلى بها المساكن والدور من الداخل ، ورغم بساطة تلك النماذج إلا أنها تنم عن ذوق وخيال .

الأجنحة متعددة ومتنوعة داخل السوق فالجنادرية تعرض الصناعات التقليدية السعودية القديمة ، بل ويتم صنع بعضها أمام أنظار الزوار .

وإلى جانب هذه الموروثات التراثية تقف الأجنحة الحديثة دليلاً ساطعاً على شمول التنمية السعودية حيث أقامت أربع وعشرون وزارة وهيئة ومؤسسة حكومية وأهلية معارضها . وعلى سبيل المثال فإن جناح الخطوط العربية السعودية قد عكس المستويات الرفيعة التي وصلت إليها المؤسسة من الصور التاريخية واللوحات الإرشادية والأفلام الإعلامية ، وكان فيلم «البعد الثالث» رحلة من الجنادرية إلى مدينة جدة والعودة رمزاً إلى مدى تقدم المؤسسة ورمزاً إلى مدى تطور البلاد كلها وفي كافة المجالات .

ومن هذا النشاط التراثي إلى جانب النشاط الثقافي مزج المهرجان بين أصالة الماضي وروائع الحاضر ، بين المادة والفكر في نظم بديع وانتظام فريد .

من الواضح أن وراء بعثة فكرة المهرجان ودعمه بالقوة الواجبة رجالاً مخلصين نابهين إلى أن المستقبل لايكون إلا للشعوب التي تحتفي بتاريخها وتحافظ على ذاتيتها وتهتم بأصيل ثقافتها ، فالمستقبل يتركز على جذور التاريخ . والحرس الوطني بقيادة وتوجيهات سمو ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني ومتابعة سمو نائبه تتجسد فيه الأصالة والعراقة بحيث توجب عليه ضمن رسالته الحضارية أن يؤدي الدور الذي يعمق به جذور الانتماء .

وذلك ما جاء به بعض مضمون بيان الجنادرية ففي استهلال البيان «إن اهتمام أي أمة من الأمم بتراثها الأصيل وماضيها المشرق إنما يدل دلالة واضحة على ما يتصف به أفراد تلك الأمة من وعي عميق وإدراك قوي ونظرة ثاقبة ، لأن ربط الحاضر المعاصر بالماضي الأصيل سيمكن أجيالنا من الاطلاع على تلك الصورة المضيئة التي يزخر بها تراثنا الذي شارك في بنائه وتشكيله نفر من علماء هذه الأمة ومفكريها وأدبائها على مر العصور منطلقين في تصوراتهم من هدي الإسلام العظيم ، إننا نملك رصيداً تراثياً ضخماً يستحق أن يدرس وأن يقدم منه للأجيال كل ما هو مفيد ونافع لكي نضمن لأجيالنا انطلاقة مباركة ومسيرة مأمونة إن شاء الله» .

وعوداً على بدء كانت رائعة الحفل الخطابي أوبريت «أرض الرسالات والبطولات» بمشاهدها الشعرية الأربعة المستقاة من تاريخ هذه الأمة ، وختامها قرار تدعمه حقائق التاريخ وهو أن «وطني هو المجد» ■